في المنجز اللغوي للدكتور داود سلوم

أ.د. إنعام داود سلوم

يعد الدكتور داود سلوم قامة من قامات العراق الشامخة وسفراً معرفياً عراقياً، فهو من المقارنين القلائل في العراق والوطن العربي، علم بارز من اعلام اللغة العربية واسم لامع من اسماء الاكاديمية العراقية. عُرف بثقافة موسوعية شاملة أهلته للكتابة في مختلف حقول المعرفة، كالنقد القديم والنقد الحديث والبلاغة والأدب الاسلامي والأموي والأندلسي والأدب الحديث والنقد الحديث وأدب الاطفال والتراث الشعبي والمذاهب الأدبية الغربية والمعجمات واللهجات والسير الأدبية وصنع المعجمات وحقق الدواوين وترجم الروايات والقصص والأشعار فضلاً عن ممارسته التحقيق وجمع النصوص والترجمة والكتابة عن اللغات والآداب الأجنبية والفولكلور ومعاناته كتابة النص الابداعي الشعري والقصصي والمسرحي، لكن النقد المقارن يظل الهمّ التأليفي البارز الذي كان الدكتور داود سلوم رائده الأول في العراق واقترن الجهد الأكبر فيه باسمه لما قدمه في هذا الحقل من دراسات مؤثرة كثيرة جداً.

حصل الدكتور سلوم على الماجستير من مدرسة الدراسات الشرقية. جامعة لندن في ١٦/ ١/ ١٩٥٦ في مادة الأدب الحديث وعنوان رسالته (تطور الفكرة والاسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين)، وقد طبعت هذه الرسالة في بغداد سنة ١٩٥٩م.

وحصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها في ٢٤ / ٦/ ١٩٥٨م في مادة (الأدب المقارن الحديث). وعنوان اطروحته (دراسة مقارنة لآراء طه حسين وآراء الغربيين في الرواية الأدبية) وما زالت هذه الأطروحة مخطوطة، ولم تترجم الى العربية حتى الآن.

وقد اتيح لجميع هذه الاجيال المبكرة أن تكمل دراساتها العليا في بلدان أجنبية فكان محصولهم العلمي والفكري والثقافي مركباً، ذلك أن كلاً من أفرادها قد أتقن لغة أجنبية فضلاً عن أدائه متطلبات الكتابة في التخصص الذي اختاره.

يسعى هذا البحث الى التعريف بجانب من انجازات هذا الدكتور وهو الجانب اللغوي الذي قد يظن بعضهم أنه بعيدٌ عنه بسبب تخصصه في الأدب أو في النقد المقارن على وجه خاص.

لقد بحث الدكتور في وقت مبكر في أثر العربية في اللغات الأجنبية مستفيداً من سفراته ومعاشرته لأصحاب هذه اللغات فنشر بحوثاً أصيلة في الأثر العربي في اللغة السواحيلية ولغة اليوربا ولغة الهوسا، وتصور بعضهم أنها بحوث معدة وليست تأليفاً من غير الأنتباه إلى حقيقة المعاشرة الشخصية لصاحبها واقترابه من أوطانها، ثم بحث في وقت لاحق في أثر العربية في اللغة التركية وفي اللغة الفارسية وهو يريد بذلك تأكيد أهمية العربية ومنزلتها بين الشعوب المختلفة.

وكان الدكتور داود سلوم من الاساتذة الذين قاموا بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة المستنصرية في سبعينات القرن الماضي، وكتب عدداً من البحوث في هذا الباب، وهي كلُّها تنبعث من رغبة شخصية صادقة في رؤية اللغة العربية وقد امتدت مساحتُها خارج مساحة الناطقين بها.

وأنجز الدكتور أعمالاً لغوية مهمة جلبت انتباه المختصين باللغة ومن ذلك (معجم لغات القبائل والأمصار سنة ١٩٧٨م) الصادر بجزأين و(المعجم الكامل في لهجات الفصحى) الصادر سنة ١٩٧٨م وهناك عمل لغوي شغله سنوات طويلة وحرص على إتمامه ونشره في السنوات الأخيرة من حياته، وأعني اعادة نشر (كتاب العين) للفراهيدي، فقد أعاد تنظيم مواده على وفق الحروف الهجائية وصحح أخطاء الطبعة السابقة، ووضع فهارس عديدة لم تصنع في تلك الطبعة.

ويمكن أن نجعل من اهتمامه بجمع الشعر العربي القديم وتحقيقه دليلاً على ما قدمه من وفاء للغته العربية.

أما آخر ما قدمه من جهد لغوي فهو تحقيقه لكتاب (حكايات بغدادية) للأب انستاس ماري الكرملي وتفصيحُه هذه الحكايات الشعبية بالعامية البغدادية لتكون قريبة ممن لا يفهم بعض مفرداتها من القراء العراقيين، أو اغلبها أو كلَّها من غير العراقيين وبذلك أسهم في جعل

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الأدب العامي أدباً فصيحاً وفي ذلك توسعة للعربية الفصيحة ولقرائها.

وقد صدق أحدُهم حين وصفَه بالمتخصص الموسوعي أو الموسوعي المتخصص لأنه كتب كماً مؤثراً في تخصصات اللغة العربية المختلفة لا يجاريه فيه كثير من المختصين.

كانت للغة العربية قبل الاسلام صلات باللغات السامية ولغات الشعوب المجاورة، غير أنها تكاد لا تقارن بما وقع من صلات بين اللغة العربية ولغات الشعوب المجاورة بعد دخولها الاسلام التي شكلت جهودها الأسس المتينة التي بنيت عليها الحضارة الإسلامية.

إذ اعتنقت الإسلام حاملة معها عناصر حضارتها المحلية وكثيراً من مكنوناتها الفكرية والثقافية والتي تمثل اللغة مظهراً من مظاهرها فكانت لغاتها رافداً من روافد اللغة العربية التي أقبلوا على تعلمها لأنها لغة الدين الجديد ولذلك بدأت تحل محل لغتهم الأم لفترة من الزمن أو أنها تلاقحت معها وانصهرتا في بودقة واحدة فكراً وثقافةً والفاظاً وتراكيب، فأثرت العربية تأثيراً واضحاً في تلك اللغات استمر الى وقتنا الحاضر.

قال ستيفن أولمان في كتابه (دور الكامة في اللغة) " إن الدافع الذي يكمن وراء الافتراض اللغوي هو النزعة الى التفوق والإمتياز"(١).

ومعنى هذا لا بد أن تكون الأمة التي يراد الاقتراض من لغتها محسوبة في عداد الأمم التي ينظر إليها بأنها جديرة بالتقليد في كل المجالات بوجه عام أو مجال معين في أقل تقدير.

ولعل افتراض المفرد العربي أول دليل مادي منظور يدل على أصالة الفكر العربي وأثره، ومن النادر جداً أن يجد الإنسان لغة أو بعض لهجاتها لم تتأثر باللغة العربية. فإن عدداً كبيراً من الأفكار التي ابتدعها العقل العربي أو الآلآت والأدوات التي استخدمها العرب أو البضاعة التي نقلوها، حُملت إلى الآخرين مع اسمائها، فاللفظة هي أول ما يصل الى المجتمعات الجديدة بعد وصول النفوذ العربي الى بقعة أو منطقة أو بلد.

فاللغة العربية وسيلة من وسائل نقل الدين أو الحاجات المادية الى الامم الأخرى ولذلك فهي أسرع من الأفكار المجردة والتأثيرات الأدبية المختلفة في الوصول الى المجتمعات الجديدة، وإن وصول الألفاظ وكمية ما يصل منها يزداد ويشتد بعامل القرب أو الدوام على الصلة بين العرب وغيرهم. ولذلك فإن عدد الألفاظ العربية المستضافة في اللغات الأخرى يزداد وينقص حسب البعد والقرب ومقدار التأثير الذي يأتي من استمرار الصلة الاجتماعية والتجارب. فإن بعض اللغات ومنها التركية تصل فيها اللفظة العربية نسبة عالية جداً لأنها ألفاظ المعاملات والدين والأدب علاوة على ألفاظ الحضارة والحياة.

وفضل شيوع العربية يعود إلى الفتوحات الإسلامية التي أسهمت في أن تجعلها لغة واسعة الإنتشار حيث وفرت لها فرصة لتفرض نفسها بقوة على العديد من اللغات التي كان سكان المناطق المفتوحة يستخدمونها، وتعد اللغة التركية من اللغات الشرقية الهامة في العالم ويأتي ترتيبها بعد اللغة العربية من حيث المتحدثين بها وسعة انتشارها في العالم ولها فروع ولهجات مختلفة وهي تدرس في الجامعات العربية والإسلامية والأوربية.

وقد أكد الدكتور في كتابه (أثر الفكر العربي والإسلامي في الآداب الأوربية): " إن المؤثرات العربية تبدأ من حدود القرن العاشر الميلادي إلى مطالع القرن العشرين وهذهِ النماذج المقدمة في هذا الكتاب لا تكون إلا قطرات من محيط الفكر العربي التي استقت منه أوربا وغيرها من الأمم من الثقافة والحكمة العربية في الشرق والغرب"(٢).

وقال: "اعتمدت في هذا الكتاب طريقة تقديم الأدلة المفصلة سواء أكان من النصوص المترجمة أم النصوص العربية لإثبات التأثر والتأثير بالبرهان القاطع الذي لا يترك في قلب القارئ شكاً وأشرت إلى أدق التفاصيل وبينت أن الأوربيين وجدوا تراثاً منهوباً نقله اليهم المترجمون فأخذوا ما أخذوا مجاناً ووضعوه في كتبهم على أنه من ابداعهم وأصالتهم ونالوا الخلود به وبلغوا ذروة المجد بجهدِ وعبقرية وأصالة أمة العرب "(٣).

فأراد أن يثبت للدارسين أن الآداب واللغات مجتمعة قد اغترفت من ذلك المعين الأصيل والنبع الثر بأدلة لا تدع مجالاً للشك في صدق قوله وحيادته ومجانبته للتعصب مستنداً على معرفة دقيقة وملمة بالتراث مضافاً إليها إجادة للغات أخرى مما مكنه من وضع اليد على لمسات الأثر العربي في آداب ولغات الأمم مهما قل أو كثر.

ولاسيما أن التاريخ لم ينصف العرب بل تجاهل دورهم ورماهم بالتبعية الفكرية والحضارية لبقية الشعوب ولم يكتفِ بل جعل قصب السبق لتلك الشعوب.

وهنا تصدى لهذا الأمر مبيناً لهذا فضل العرب في اذكاء الجذوة الحضارية والفكرية لبقية الأمم التي تلقفت هذا التراث وادعت ابداعه ودور الريادة فيه.

أعماله اللغوية:

١- كتاب العين:

معجم لغوي تراثي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم. د. داود سلمان العنبكي، د. إنعام داود سلوم: كان الدافع لترتيب كتاب العين: إن هذا المعجم الذي أُلّف في القرن الثاني الهجري أول معجم عربي يُؤلف في اللغة العربية تميز بطريقة بنائه على مخارج الحروف وهذا البناء كان إحدى الصعوبات امام استخدام هذا المعجم والإفادة منه في الدراسات الأدبية واللغوية والمُقارنات العلمية ولذلك تم ترتيب هذا المعجم ترتيباً هجائياً على تسلسل الحروف من الألف الى الياء وعلى توالي الحروف الهجائية في جذور المُعجم وتسلسل الكلمات في الحرف الواحد.

وفي سبيل تسهيل الرجوع الى الأصل فقد وضعنا أمام كل جذر رقم الجزء والصفحة التي ورد فيها مثل الجَذْر (عهد) نضع أمامه رقم الجزء والصفحة حيث ورد هكذا (١٠٢/١) إذا امتدَّ الجَذْر الى الصفحة التالية نضع أمام التكملة رقم الصفحة الجديدة مثل (١٠٣/١) في تكملة الجذر (عهد) وهكذا.

واعتمدنا في هذا الترتيب على النسخة التي طبعت في بغداد ما بين ١٩٨٠- ١٩٨٥ بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي.

وقد سَجّلنا مُلاحَظاتنا على اختلاط الجذور والأخطاء اللغوية الطباعية وما إليه مما وقع فيه في الاجزاء المطبوعة في طبعة بغداد بتحقيق الاستاذين الفاضلين المخزومي والسامرائي.

وقد ذيلنا هذا المعجم بفهارس كاملة للأسماء والأماكن واللغات والشعر والحديث والقرآن والقضايا اللغوية والنحوية... معتمدين الاشارة الى الجذر بدل الصفحة.

أن عملنا هذا يُعَدّ أول عمل قَدّم هذا المعجم القديم في هذا الترتيب الجديد ونأمل أن نفيد بذلك كل الاساتذة والباحثين والعلماء وأهل اللغة ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة هذهِ اللغة الكريمة "(٤).

ثم كتب الدكتور تمهيداً للمعجم تضمن عصر وحياة الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم تطرق إلى أهمية معجم العين ثم مقارنة اللغة العربية باللغات الأخرى مبيناً ما يأتي:

أ. القوانين الصوتية في اللغة العربية.

ب. ابدال الحروف الأجنبية في المُعرّب والدخيل.

ج.المقارنة بين المفرد العربي والمفرد الفارسي في الشرح.

وبعد هذا كله تحدث عن التقريب بين لغة الكلام والفصحى معرجاً على:

أ. لغة العامة وتغير المعنى.

ب. الخروج على البناء الصرفي والاشتقاق.

ج. مفردات الأمصار.

ثم بيّن أن تجربة الخليل كانت النواة الأولى للمعجم العربي والموسوعي ولكن المعجميين العرب اتخذوا من كتابه مصدراً فنقلوا عنه بدل أن يطورا ما بدأه فعزلوا بذلك بين اللغة والمجتمع وعدوا اللغة هيكلاً جامداً دون أن يمدوه بروح العصر الذي يحيا فيه مؤلف المعجم.

ثم أشار إلى الهدف من بعث هذا المعجم كي لا تنقطع العلائق بين ماضينا وحاضرنا وبين تراثنا القديم وتراثنا الحديث والمعاصر.

ثم يخلص الى الغرض الذي دعاه لهذه الفكرة باعادة ترتيب معجم العين ترتيباً هجائياً إنما هو بعث لهذا المعجم ليدخل دائرة البحث العلمي وليكون وسيلة فاعلة في يد الباحث للربط بين الماضي والحاضر وليساعد على إداء دوره في بعث حضارة عربية جديدة.

٢- معجم لغات القبائل والأمصار:

تأليف د. داود سلوم والدكتور جميل سعيد.

ألف هذا المعجم سنة ١٩٧٨م وفي مقدمته اشار الى طريقة عمله فيه قائلاً:

"هذه مجموعة من الالفاظ التي وردت في المعاجم والكتب العربية القديمة منسوبة بمعانٍ خاصة بها الى قبيلة من العرب أو الى مصر من أمصارهم. وقد تتبعنا لاستقصائها المعاجم كالجمهرة والتهذيب والصحاح والمخصص واللسان وغيرها"(٥).

ولم يقف عند هذا الحد بل أيضاً تتبع الكتب التي ألفت في اللغة وفقهها كالمزهر ولحن العوام واصلاح المنطق وغيرها (٦).

وتليها كتب القراءات والتفاسير فيما اشير اليه بأنه قرئ على نحو خاص أو فسر بنحو خاص تبعاً لنطق قبيلة عربية أو لإستعمال قبيلة عربية.

وبعد ذلك جاء دور الدواوين الشعرية فيما فسرت به بعض معانيهم تبعاً لاستعمال خاص في قبائلهم كأشعار الهذليين مثلاً وفيها كثير من المعاني على

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

نحو خاص عند هذيل.

بعدها جاءت كتب النحو والصرف فيقول: " ونظرنا فيما يُنطق به على نحو خاص عند قبيلة أو يُعرب إعراباً خاصاً تبعاً لقبيلة.

وقد أشار الى " وقد تجمعت لدينا طائفة كبيرة من الألفاظ رصدناها وذكرّنا مصادرها ؛ وجهدنا في أن نحتفظ بالعبارة التي نقلناها بها من تلك المصادر والكتب ودوناها على شكل معجم للغات القبائل والأمصار العربية.

ومن فوائد هذا المعجم عندنا:

١- إن كثيراً من الالفاظ العربية يُستعمل في معانٍ مجازية، ولا يُدري أي هذه المعاني هو الاصل، وأنّه الأول بالتتبع من غيره، وربما كان في معرفة هذه الالفاظ وفي استعمالها على نحو خاص في قبيلة، أو في بلد عربي ما يعين على استنباط المعنى الاصلي لها. وعندنا أن هذا سيكون عوناً لمعجم تاريخي كبير،نرجو أن يكتب للغة العربية على نحو المعاجم التاريخية الكبيرة المكتوبة للغات الاوربية "

٢- إن هذا المعجم سيكون عوناً للدراسين المحدثين لفقه اللغة العربية والنحو المقارن في اللغات السامية. وقد يكون به ما يعتبر حلقة وصل بين لهجة العراق القديمة وما بها من الفاظ موروثة عن الاكدية والكلدانية والآشورية. وقد انتقلت في بعض معانيها الى اللغة العربية ؛ وعلى سبيل المثال لهذا. نقول:

جاء في اللسان في مادة " شقل"قال ابن الاعرابي: الشقل: الوزن. يقال: اشقل لي هذا الدينار أي زنه"

٣- هناك الفاظ اشار اللغويون القدماء الى أنها اعجمية، جهلاً منهم باستعمالها في بعض القبائل العربية، وسارت في الكتب التي نقلت عنهم أنها كذلك... فلفظة " الزرجون" تداولها المفسرون، ودارت في شعر ابي نواس على أنها فارسية. وكنت أظنها كذلك حتى قرأت في اللسان أن " الزرجون" قضبان الكرم بلغة أهل " الطائف" وأهل " الغور" وإن شاعرهم قال:

بُدّلوا من منابت الشبح والاذ
خر تيناً ويانعا زرجونا

وعلى هذا النحو ربما صُحّحت بعض الالفاظ بمعرفة استعمالها في بعض القبائل والامصار العربية.

٤- في اللهجات العربية اختلاف في بعض صيغ الالفاظ.

وبعض هذا مازال هو المتداول الشائع عندنا، مع أنها عند اللغويين القدماء مرغوب عنها، مثال هذا: القول في اللغة الدارجة ببلدنا وببعض البلدان العربية، في التأنيث لما جاء على وزن افعل: فعلانة. بدل " فُعلى" والصواب:" سكرى وسكران ". وذكروا أن بني اسد يقولون: " سكرانه" وقالوا: " وذلك ضعيف رديء،ولبني اسد لغات يرغب عنها". ومع هذا فمجمع اللغة العربية بالقاهرة اجاز هذا الاستعمال لشيوعه، وجوزه جريا على لهجة بني أسد.

وقد يكون لدينا بالرجوع الى هذه اللهجات أو اللغات العربية، ما نيسر به استعمال اللغة ونعين على تطورها.

٥- هناك خلاف غير قليل في الاعراب في لغات القبائل العربية، هذه " حيث" قالوا: هي في لغة تميم وطيء " حوث" وقال ابن سيده: ومن العرب من يقول: " حوَث" ومنهم من يقول: " حيث". وفي اللسان:".... سمعت في بني (اسد).. وفي (بني فقعس) كلها... يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب، فيقولون: " من حيث لا يعلمون، وكان ذلك حيث التقينا، وحكى اللحياني عن الكسائي: " ومنهم من يخفض بـ(حيث) وانشد:

أما ترى حيثَ سهيلٍ طالعا.....

٦- قال اللحياني عن الكسائي والاصمعي: يقولون " ما قعدت عنده الا ريث اعقد شعي " بغير "ان" قال: وتستعمل بغير " ما" ايضاً وانشدوا لأعشى باهله:

لا يصعب الامر الا " ريث" يركبه
وكل امر سوى الفحشاء يأتمر

قال: وهذه لغة فاشية في " الحجاز" يقولون: يريد يفعل ؛ أي ان يفعل.... ونحن نرى هذه الصيغة نفسها هي الشائعة في العراق اليوم، وفي كثير من البلدان العربية. في لغة التخاطب خاصة. ونرى المثقفين يتجاوزنها في الكتابة الى استعمال " ان" قبل الفعل ظناً منهم ان هذه غير جائزة في اللغة العربية الفصيحة...

فلا أرى من اللائق وأنا اكتب للسادة اعضاء المجمع العلمي العراقي ان افيض فيما اراه من فوائد لهذا المعجم. وكلهم عارف بفوائده فأكتفى بالذي بينت. ثم عمل فهارساً حيث قال: وأزيد بأننا سنحلق به فهارس تفصيلية، يشار فيها الى ماورد في القرآن الكريم وبُيِّن بأنه ورد على لغة خاصة، في نطقه أو في معناه، عند قبيلة من

القبائل أو في مصر من الامصار. وسنشير في هذه الفهارس الى كل قبيلة والى كل بلد مع بيان مالها من نصيب في هذه الالفاظ. ونشير – بفهارس- لما في هذا المعجم من أمور تتعلق بالنحو واعراب الالفاظ، وأخرى لما يتعلق بالصرف من اختلاف في نطق الالفاظ، ولما يقع فيها من اعلال وابدال أو قلب. ومِنْ انجازاته أيضاً المعجم الكامل في لهجات الفُصحى، جمع وترتيب الدكتور داود سلوم/١٩٨٧م. حيث ذكر في المقدمة سبب تأليفه لهذا المعجم قائلاً " كان معجمنا الاول معجماً تجريبياً محدوداً بفهارس ثابتة بحيث إذا اقتضى اضافة جذر جديد أوجب ذلك تغييراً في فهارس المعجم كلها فكان أمر تغييره وتوسيعه مسألة صعبة معقدة يقتضي لها فك ذلك المعجم وفهارسه جذراً جذراً ثم إعادة بنائه من جديد. فضلاً عن سفر الدكتور جميل سعيد الى الخليج جعل أمر العمل معه مشتركاً صعباً وغيرممكن ولذلك قررت تأليف معجم جديد "(٧).

ثم بيّن طريقته في هذا المعجم حيث قال: " معتمداً الجذر مع المرجع والغاء الفهارس التي أثقلت تطور ذلك المعجم المشترك الذي قدمناه بمادة محدودة تخلو من الشواهد والنصوص في أغلب الأحيان ومحدداً بخطة علمية صارمة "(٨).

ثم ذكر لنا الدكتور أهم المصادر التي اعتمد عليها فقال: " وقمت كذلك بإعادة قراءة اللسان والمصباح واصلاح المنطق وكان ظهور معجم البارع للقالي بتحقيق الدكتور هاشم الطعان محفزاً لتأليف هذا المعجم حيث وجدت فيه كثيراً من المادة اللهجية "(٩).

وقد أفاد فائدة كبيرة في تأليف هذا المعجم من الدراسات الحديثة وذكر ذلك فقال: " وأفدت فائدة كبيرة من الدراسات الحديثة المعاصرة وحفظت لكل ذي حق حقه بحيث أشرت الى النص المقتبس وأحلت على المرجع الحديث... واحتفظنا للسادة الباحثين بأسبقية الإشارة حيث سجلنا ذلك لهم وإن السادة الباحثين الذين اسجل اسماءهم في هذهِ المقدمة كان لهم الفضل كل الفضل في اثراء هذا المعجم. وعلى رأس القائمة أحمد علم الدين في رسالته الموسومة بـ (اللهجات العربية في التراث) ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة للدكتور غالب المطلبي وكذلك (معجم لهجة بني تميم) للمؤلف نفسه. ومنهم المرحوم الدكتور هاشم الطعان الذي كان كتابه (تأثر العربية باللغات اليمانية) أحد مراجع العمل الأول مع الدكتور جميل سعيد.

ووجدت في كتابه الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة مادة مفيدة لهذا المعجم كما أفدت من معجم (البارع) للقالي والذي قام بتحقيقه وكذلك كتاب الدكتور حسام النعيمي (الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني). ثم تأتي الدراسات الأخرى للأساتذة أحمد تيمور وإبراهيم أنيس والدكتور عبدة الراجحي في المرتبة الثانية بين المراجع التي أفدت منها " (١٠) ثم بيّن سبب الاقتباس منهم " وإن الذي دفعني الى الاقتباس عنهم محاولة الوصول الى قائمة للمفردات اللهجية لخدمة الباحثين أنفسهم وتقديم جهد أحدهم الى الآخر"(١١). ثم نتبين من كلام الدكتور أن هذه الجهود التي يقدمها دافعها هو خدمة العربية حيث يقول: "واسأل الله العون على تقديم ما ينفع العربية ويمكّن من رسوخها في قلوب الناس ويحببها الى ابنائها " (١٢)

٣- معجمات اللغة العربية المستعارة في اللغات الأجنبية في اللغة التركية، اللغة الفارسية،اللغة الكردية، الكرمانجية، د. داود سلوم، د. داود سلمان، د. إنعام داود سلوم

حيث يتحدث في مقدمة الكتاب عن اللغة العربية ومكانتها بين اللغات الأخرى وكيف اقترضت منها الشعوب الأخرى لأنها محسوبة في عداد الأمم التي ينظر إليها بأنها جديرة بالتقليد في كل المجالات بوجه عام أو مجال معين على أقل تقدير حيث قال: " ولعل اقتراض المفرد العربي أول دليل منظور يدل على أصالة الفكر العربي وأثره لأن الأمة العربية أمة بيان والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول فللغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أية أمة من الأمم ولذلك من النادر جداً أن يجد الإنسان لغة أو بعض لهجاتها لم تتأثر بالعربية.

فإن عدداً من الأفكار التي ابتدعها العقل العربي أو الآلات والأدوات التي استخدمها العرب أو البضاعة التي نقلوها. حُملتْ الى الآخرين فالفظة هي أول ما يصل الى المجتمعات الجديدة بعد وصول النفوذ العربي الى بقعة أو منطقة أو بلد فاللغة العربية وسيلة من وسائل نقل الدين أو الحاجات المادية الى الأمم الأخرى ولذلك فهي أسرع من الأفكار المجردة والتأثيرات الأدبية المختلفة في الوصول الى المجتمعات الجديدة وإن وصول الألفاظ وكمية ما يصل منها يزداد ويشتد بعامل

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

القرب أو الدوام على الصلة بين العرب وغيرهم ولذلك فإن عدد الألفاظ العربية المستضافة في اللغات الأخرى يزداد وينقص حسب البعد والقرب ومقدار التأثير الذي يأتي من استمرار الصلة الاجتماعية والتجارية (١٣).

ثم يعلل ذلك بأن اللغة العربية هي لغة الوحي ولذلك أقبلت عليها الشعوب التي دخلت في الدين الاسلامي حيث قال " لأن الشعوب غير العربية التي اعتنقت الاسلام قد أقبلت على تعلم العربية باعتبارها لغة الوحي هو الذي جعل أجيالاً منها تتخلى عن لغاتها الام لفترة من الزمن ولما عادت الى التأليف بلغاتها الأصلية، كان من الطبيعي أن تجد في العربية اللغة الأم فتطعمت بها فكراً وثقافة وألفاظاً وتراكيب، فأثرت العربية تأثيراً واضحاً في تلك اللغات إذ أخذت عنها المفردات والمصطلحات التي تعبر عن المفاهيم الدينية والأدبية والعلمية والأسس الحضارية المشتركة كما تأثرت العربية بدورها هي الأخرى وهذا ما يسمى بالتلاقح الثقافي بين اللغة العربية واللغات الإسلامية الأخرى (١٤)

ثم يبين الأثر العربي في تلك اللغات حيث يورد قوائم فيها المفرد العربي وما يقابله في اللغة الفارسية والتركية والكردية والكرمانجية.

٤- معجم جمهرة اللغة: لأبن دريد (ترتيب جديد)، أ.د. داود سلوم،أ.د. سالم الحمداني، د. أحمد فليح، د. محمد العمري، د. حسن ربابعة، د. محمود مهيدات:

اتفقت ونخبة طيبة من علماء العربية في جامعة جرش في الاردن على أن نحول كتاب الجمهرة في اللغة الى معجم ييسر للطالب والأديب والعالم الرجوع اليه بيسر وسهولة.

والكتاب بجملته ينقسم الى قسمين كبيرين. القسم الأول يضم الكلمات التي يمكن بتبديل مواقع حروفها الوصول الى جميع الفاظ الجذر الواحد. فعلى سبيل المثال يعطي ابن دريد الجذر (ز ل م ١٧/٣) ثم يبدأ بتقليب هذا الجذر ويستخرج منه الكلمات ويشرحها ويستشهد عليها بالقرآن والشعر والحديث والامثال. فمن هذا الجذر نجده يستخرج الكلمات التالية:

الزَلَم: القدح يستقيم به.

التزمل: التغطي بالترب. والازميل شفرة الحذّاء.

والفعل لزم: من لزمت الشيء ألزمه لزماً ولزوماً إذا لم تفارقه.

واللمز: من قولهم لمزته بكذا وكذا أي عبته.

وقسم هذه الجذور الى الصحيح والمهموز والمنقوص وتابع الاشتقاق منها. وكذلك فعل مع الجذور المشدّدة والرباعية. إن المنهجية في هذا القسم تضعف أمام سعة العربية وتجعل البحث في كتاب ضخم غير واضح الحدود أمراً صعباً.

أما القسم الثاني من الكتاب فيضم موازين الأفعال وجموع الأسماء ونوادر اللغة في أبوابها المختلفة مع أبواب قليلة في قضايا الأدب كأوصاف النساء والسهام والقِسيّ والأيام.... الخ.

ووجدنا أن أسهل طريقة للإفادة من هذا الكتاب الجليل أن نستخرج كل كلمة من كلماته من دائرة الجذر المشترك إلى دائرة الجذر المفرد معتمدين على الجذر البسيط الثلاثي والرباعي والخماسي. وما إليه مثل: كتب وشرد ودحرج..الخ ومستفيدين كذلك من منهجية المعجم الحديث ومقلدين من حاول تحويل المعاجم القديمة الأخرى إلى أوائل حروف الكلمات بدل طريقة الفصل والباب المتبعة في الصحاح واللسان وغيرهما.

أما القسم الثاني فهو القسم الصرفي الذي فهرسناه في معجم مستقل حسب عنوانات الفصول مرتبة الفبائياً لأن هذا القسم لا يقوم على شرح المفردة وإنما يقوم على تعدد المفردات تأكيداً للميزان الصرفي ولا يمكن أن ندخل المعجم كل هذه الالفاظ وهي كلمات مفردة تعطى شبيهة لمفردة أخرى من الميزان الصرفي أو القاعدة نفسها.

وسبق لي أن عانيت تحويل معجم آخر بمنهجية أخرى وهو كتاب العين للخليل بن أحمد وبذلك فقد كانت لي رؤية واضحة شرحتها لأعضاء اللجنة الكرام كتابة وأوضحتها بالأمثلة لكي أقلل جهدي من العمل الزائد وأظهرت للزملاء حجم البطاقة ومكان الجذر وتثبيت جذر المرجع والجزء والصفحة فكانت الاستجابة كاملة في عمل الدكتور أحمد فليح والدكتور محمد العمري ولذلك فقد كانت البطاقات تتحرك بين يدي بسهولة ويسر وجاءة بطاقات الزملاء الاخرى فيها بعض الاعتلال مما جعلني أحرر كل بطاقة تحريراً جديداً لطابقة المنهج المتبع.

وقررنا في البداية نقل الكتاب كاملاً بخط اليد وبعد فترة وجدنا أن تقطيع المادة المطبوعة أسهل وأسرع لأن بعض النص مشكول وقد نغفل عن تثبيت الحركات إذا ما كتبناه باليد. ولو كان الاتفاق على

ذلك ابتداءً لكان أسلم لأن الاختلال في بعض البطاقات المكتوبة باليد لا يمكن دفعه خاصة وإن الزملاء يتعاملون مع مفردات مهجورة. فأضاف إلى عملي عملاً آخر. وأن الإخلال بمنهج ترتيب البطاقة اقتضى إصلاحاً لكثير من نصوص بعض الزملاء لتوحيد شكل الكتاب قبل تقديمه الى الطبع.

وأمر آخر فإن بعض الزملاء لم يلتزموا بالجذر الثلاثي وهو الغالب على الكتاب فالمشدد بقي مشدداً مثل (مدّ) و(شدّ) أو أنهم استغنوا عن الجذر كلية وجاءوا بالأسماء بدل الجذر. فبدل (مَوَه) يضع الباحث كلمة (الماء) وبدل(وصي) يضع الباحث كلمة (الوصية) أو (الوصي) وكأنه ترك لي أن أقوم بالمهمة عوضاً عنه فأضاف عبئاً ثقيلاً وضياعاً للوقت في صنعة النسخة الأم الملصقة.

ولكن مع كل فقد كان تعاونهم مثالياً وإن كانوا حفظهم الله وبعد تقديم مئات البطاقات نفضوا أيديهم من العمل وقالوا لي كما قيل لموسى (إذهب انت وربك فقاتلا) فصنفت المعجم ورتبته لذلك لوحدي فلم يكن اهم في الترتيب أي جهد يذكر.

وبعد فقد انتهى العمل. وقد قرأت مرة أن دافنشي حين أكمل تمثال موسى ونظر الى كماله وجماله ضربه بالمطرقة على ركبته وقال: تكلم!.

وحين أكملت مجلدات النسخة الام التي صورت عنها نسخة المطبعة كان فرحي كثيراً فضربت بالقلم على آخر كلمة سجلت بها تاريخ انتهائي من العمل وقلت: "يا ابن دريد مرحباً بك وبكتابك في القرن العشرين".

فها نحن نضع أمام القارئ العربي ثاني أقدم كتاب لغة بعد معجم العين وجعلنا متناوله أسهل أو مثل أي معجم حديث آخر ليفيد منه الدارس والباحث بعد أن كان كتاباً مهجوراً لا يكاد يقربه أحد مرة واحدة في العمر فحولناه إلى معجم يمكن أن يفيد منه كل إنسان وفي كل دار علم أو بيت. أقدم شكري للذين عملوا معي وجهدوا أنفسهم في تقديم البطاقات فلهم كل الفضل في تقصير الأمد الذي كان يستغرقه هذا العمل لو قمت به لوحدي.

ولابد لنا أن نقول شيئاً عن الجذور المهموزة أو المنقوصة أو المقصورة فقد اتبعنا بها القاعدة الصرفية البسيطة مثل (قول ربيع) في وضع الجذور يكون المضارع معروفاً ولكن بعض الاسماء التي ليس لها فعل يشتق منها يعلمنا عن أصلها فقد تركنا الهمزة في الغالب على الف أو كتبنا الهمزة مفردة وهذا لايقع إلا في امثلة قليلة في مطالع الحروف.

ووضعت شارحة أمام الجذر المتكرر الثاني الذي ينقل من الجزء نفسه والصفحة نفسها كي نقلل من تكرار الجذر الواحد.

هذه هي ملاحظات بسيطة أردت بسطها أمام القارئ كي يغفر لنا ما اجتهدنا فيه وأخطأنا والكمال للذي علم الإنسان بالقلم سبحانه.

اعتاد الدكتور داود سلوم ان يقول لطلابه نحن محبي العربية اساتذة وطلاباً قد قُدر ان نخدم لغتنا على النحو والكمّ والنوع الذي هيىء لنا ان نقدمه وانتم لن تقدموا للغتنا العربية اكثر ما قدر لكم أن تقدموه اقول: قُدر للدكتور داود سلوم ان يخدم لغته الحبيبة ولكن على اية درجة من الخدمة قد عبر الدكتور داود سلوم عن هذا الحب؟ هذا ما اجابت عليه انجازاته الهائلة التي لا يقوى على انجازها فرد واحد فراحت تخبرنا قائلة اننا ننتمي الى اشخاص عديدين تماهوا في شخص واحد اسمه:داود سلوم.

خاتمة البحث

من خلال هذا البحث لا حظنا ما يأتي:

١. مع أن التخصص الدقيق للدكتور داود سلوم هو النقد المقارن لكنه امتاز بالتنوع والشمولية وجمع بين دفتي اللغة العربية (الأدب واللغة) فهو الموسوعي المتخصص والمتخصص الموسوعي وهذا يدل على عبقرية خاصة.
٢. الرغبة الشديدة التي يمتلكها في احياء التراث وخدمة اللغة العربية.
٣. ركز في دراساته الأدبية واللغوية على أصالة الفكر العربي والحضارة العربية ودافع عن ذلك بالأدلة التي لا تترك مجالاً للشك في نفس المتلقي.
٤. أكد على عالمية اللغة العربية وإن اللغات الأخرى جميعاً قد اقترضت من هذه اللغة الحية المتجددة التي تواكب التطور والحضارة.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المصادر والمراجع

١- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم. د. داود سلمن العنبكي، د. انعام داود سلوم، بيروت، دار ناشرون.

٢- معجم جمهرة اللغة لابن دريد (ترتيب جديد) إعداد أ.د. داود سلوم، أ.د. سالم الحمداني، د. أحمد فليح، د. محمد العمري، د. حسن ربابعة، د. محمد مهيدات.

٣- المعجم الكامل في لهجات الفصحى جمع وترتيب الدكتور داود سلوم، بغداد، ١٩٨٧م.

٤- معجم اللغة العربية المستعارة في اللغات الاجنبية، د. داود سلوم، د. داود سلمان، د. انعام داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٠.

٥- معجم لغات القبائل والأمصار، د. داود سلوم، د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨.

الهوامش

١) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: ١٦٤.

٢) المقدمة: ٥.

٣) المصدر نفسه: ٦-٧.

٤) مقدمة المعجم: ز.

٥) المقدمة: ٣.

٦) المصدر نفسه: ٣.

٧) المقدمة: ٥.

٨) نفسه.

٩) نفسه.

١٠) المقدمة: ٦.

١١) نفسه: ٦-٧.

١٢) نفسه: ٧.

١٣) ينظر: معجمات اللغة العربية: ٤-٥.

١٤) -----

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2